على اكتافهم ودمائهم ويسيرون ، والفقراء الذين يحملون سيفهم هم الذين يقاتلون ، عندهم « يستوي الامر » ، لان « للموت حجته الواحدة ».

زمن الفقراء يتكون بين « الانا » و « الفعل » . جملة عدوان الشعرية ، تبتدأ هكذا . بين « أنا » الشاعر ــ الصوت . وفعل الامر او العالم حين يتحرك بوصفه فعلا . والنبوءة العكسية هي علاقة « الانا » بالفعل ــ الواقع » . في هذه العلاقة يصبح القول الشعري ، خلاصة للحركة ، والحركة هي الاخرى حركة عكسية . انها حركة الماضي القريب :

« كل نبع يحاصر
لم يبق للشرب الا الدماء
من ضفاف المحيط الى كربلاء
وحدنا فوق رمل البلاء هوينا
انتفخنا على الرمل حتى انفجرنا عفونة » .

هذا المقطع الشعري من قصيدة « سيأتيكم زمان » . يلخص معنى النبوءة العكسية في هذا الشعر . انه يصف ، يلتقط عناصر الطبيعة ، يمزجها بعناصر الواقع (نبع يحاصر) و (الدماء)، ثم يلتقط رمزا تراثيا (كربلاء) ليجعله مفتاحا لفهم المأساة الجديدة . واذا كانت أنا النبوءة لا تظهر هنا ، فهي مضمرة داخل ايقاع هذا المزج المركب من العناصر الذي يشير اساسا الى دلالتها . فتتوحد الازمنة في زمن السياق ، ويصبح زمن الفقراء ، هو زمن الرؤيا المأساوية المطبقة على الواقع العربي ، بوصفه تململا ومحاولة فعل . عند نقطة التسلسل والفعل هذه يكتشف الصوت النبوي ارضيته الواقعية . انها تتمثل أساسا في ارادة القتال التي يحملها المقاتل الفلسطيني بوصفها رمزا ، او تجسيدا للصوت النبوي الذي يستعيره الشعر . ففلسطين هي « العلامة الفارقة » التي تطل « وسط جبين الوليد » . مستقبل النبوة هي الفعل الثوري . هذا الفعل يتحقق عيانيا ولو بشكل تأشيري ، انه علامة المستقبل . لكن هذا التوق الى الانغراس في المستقبل واكتشاف ارضية حركته ، لا يتنازل عن مأساوية الموت ، لذلك يستعيد الشعر صوت الحكمة الغريبة . يرسم حكمة جديدة منتقاة من عناصر الواقع ، او يعود الى الامثال ليعيد كتابتها داخل القصيدة . فتأتي الحكمة تعبيرا عن ــ أنا ــ الشعر ، لتنفذ الفعل والوصف ، من الغرق في تفاصيل الواقع الذي يتحول الى سلسلة كوابيس :

« ليس بين الوباء ، وبين الوباء سوى الاوبئة
المياه تجن ، وبرتك لا يتكشف الا عن الموت » .

زمن الفقراء ، هو زمن القصيدة . مبنية القصيدة ، التي تراوح بين مستويين ، تسمح لصوت الشاعر بالامتداد افقيا ، فهو يطال الكثير من عناصر الواقع ، يرثيه ويشتمه . ويجلس على اطراف النهايات ، مترقبا ، في لحظة يأس وموت وأمل . هذه المتناقضات التي تعبر عنها القصيدة ، تبقى على مستوى اللغة الشعرية ، منبسطة ومحددة . اي لا تقوم بنقل اوجاعها الحقيقية الى القول الشعري ، فتعيد تشكيله . اي ان القصيدة تقيم تفاوتا بين النبوءة والشعر. النبوءة هي محاولة للوصول الى نهايات العلاقات ، الى تحولاتها الدائمة ، الى ثقوب الزمن الذي ترشح منه الهزائم . والشعر لا يزال حاد القسمات . يعامل الكلمة بوصفها حدا ، لا يشكلها ، لا يمزج مجموعة الكلمات في جملة شعرية جديدة ، تكون جوابا فعليا على طموحات النبوءة التي يحملها الشاعر في محاولته هذه . ان هذا التفاوت الغالب في بنية القصيدة هو محاولة لاستكمال بعض عناصر المزج الحاد بين لغة الشعر ولغة الايديولوجياالسياسية. بين اللغتين اكثر من قاسم واحد ، لكنهما يفترقان عند نقطة الدلالة . فبينما تحاول لغة الايديولوجيا السياسية الوصول من خلال عناصر الجملة الواضحة الى ايصال يبدو بريئا وهو مليء بالمسبقات ، تحاول اللغة الشعرية الوصول الى كشف تناقضات المسبقات علنا ، عبر محاولتها تخطيء السائد والمتعارف عليه والمصطلح الجاهز. في شعر عدوان ، محاولة لهذا الخروج ، لان زمن الفقراء ، هو وحده القادر على الوصول الى هذه المعادلة الفنية الجديدة . لكن هذه المحاولة تصطدم دائما بسرعة القصيدة . وسرعتها بالمعنى المحدد للكلمة ، اي ارادتها في استباق نفسها للوصول الى نتائج وضعتها سلفا ، تعطل امكانية التشكيل والمزج والوصول الى ما تريده من نبوءتها .